

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

معناها ومقتضاها وآثارها في الفرد والمجتمع

بقلم الدكتور

صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء بالرياض

2

تقديم: لمعالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الكل يدرك خطر المذاهب الهدامة المنتشرة في بعض أراضي المسلمين، والمتغلغلة في نفوس بعض منهم، إما عن جهل وتقليد أو عصبية جاهلية، ومثل هذه الفئة رغم قتلها - والله الحمد - عدةً وعدداً إلا أن تركها تروج مذاهبها وطرقها المنحرفة أمر له خطورته الكبيرة، وتأثيره في مسيرة الإسلام وواقع المسلمين.

ومحاربة هذه الفئات، وكشف ضلالتهم، وبيان فساد معتقدتهم، ومخالفتة هدى الله ورسوله أمر واجب على الأمة الإسلامية جمعاء.

وشرح مذهب أهل السنة والجماعة، وإيضاحه تجاه كافة القضايا الإسلامية، وبيان عقيدتهم التي تطابق الحق والهدى أهم وسيلة لكشف مختلف العقائد الفاسدة، والفرق الضالة التي أعماها إبليس وزين لها سوء عملها، وعلل لها انحرافها عن الحق والصواب.

ومنذ نشأت الفرق الضالة على أيدي اليهود والمنافقين والذين دخلوا الإسلام بهدف تشويهه وهدمه من الداخل، والله يقيض لها من يرد عليها ويوضح ضلالها، ومنافاة مذاهبها لحقيقة الإسلام عقيدة وشريعة.

واليوم تزخر الجامعات الإسلامية وعلى رأسها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالكثير من الكفاءات العلمية القادرة على إيضاح مذهب السلف الصالح - أهل السنة والجماعة - وبسطه للمتعلم وغيره، وترجمته إلى اللغات المختلفة؛ ليكون في متناول المسلمين في كافة أنحاء المعمورة، وليتجنبوا بمعرفته والثبات عليه شتى الأفكار والمذاهب المنحرفة.

وقد تحدث فضيلة الدكتور صالح الفوزان في البحث السابق من هذه السلسلة (الطريق المستقيم) عن حقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل، ودحض الشبهات التي أثيرت حوله ويتابع الشيخ صالح جهوده في كل ما فيه توجيه الأمة إلى الحق وإرشادها إليه، وإيضاح ما علق بعقائدها من تحريفات، وما تحرص الفرق الضالة على ترسيخه في نفوس العامة من البدع والخرافات، فيقدم لنا موضوعاً جديداً مهماً، يبين فيه (معنى لا إله إلا الله، ومقتضاها، وآثارها في الفرد والمجتمع).

وهل هناك كلمة أعظم وأهم من (لا إله إلا الله) كلمة التوحيد الفاصلة بين الشرك والإسلام، التي أجمعت الرسالات السماوية كلها على الدعوة إليها، والتي شهد الله بها نفسه في غير موضع من كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، وقال جل شأنه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]، وقال سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وكرر إثباتها في آيتين متتاليتين، مع ذكر بعض صفاته وأسمائه الحسنی في سورة الحشر، قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣].

وما دامت هذه الكلمة أول كلمة يلزم أن ينطق بها الكافر معلناً بها إسلامه، وأن من نطق بها صادقاً حرم ماله ودمه، فإن ذلك يستوجب معرفة معناها ومقتضاها وفضلها ومكانتها في الحياة، وأركانها، وشروطها، وقد بسط المؤلف القول في ذلك، ثم اعتنى بنقطة مهمة، وهي متى ينفع الإنسان قول لا إله إلا الله، ومتى لا ينفعه ذلك؟ وبين أن مجرد التلفظ بها لا يكفي، مزيلا الوهم الموجود عند بعض الناس حول ذلك، وقد أورد حول هذه المسألة عدداً من أقوال أهل العلم؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب والحافظ ابن رجب وغيرهم من أهل العلم، مثبتاً بذلك أن من يقول لا إله إلا الله ولا يعمل بمقتضاها لا ينفعه ذلك، بل إن ما يمارسه بعض الناس من أنواع الشرك الأكبر عند الأضرحة وقبور الصالحين يناقض كلمة (لا إله إلا الله) تمام المناقضة، ويضادها تمام المضادة.

وقد ختم بحثه القيم ببيان الآثار الحميدة لهذه الكلمة إذا قيلت بصدق وإخلاص وعمل بمقتضاها ظاهراً وباطناً، على الفرد والجماعة، وأنها عامل من عوامل اجتماع الأمة وقوتها، وتوافر الأمن والطمأنينة لها، وحصول السمو والرفعة لأهلها إلى غير ذلك من الآثار الكثيرة الأخرى.

فجزاه الله خير الجزاء، ونفع الله بهذا الجهد، وحقق به ما نصبوا إليه جميعاً، والله الهادي سواء السبيل، وهو ولينا فنعم المولى ونعم النصير.

عبد الله بن عبد المحسن التركي

مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمة

الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وكل من اتبعه وتمسك بسنته إلى يوم الدين...

أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى أمرنا بذكره وأثنى على الذاكرين ووعدهم أجراً عظيماً فأمر بذكره مطلقاً، وبعد الفراغ من العبادات... قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتُمُ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣].

وَقَالَ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتُم مِّنَ مَّنَاسِكَكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وأمر بذكره أثناء أداء المناسك الحج خاصة فقال تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٨].

وشرع إقامة الصلاة لذكره فقال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامٌ أَكُلُ وَشُرِبُ».

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٥١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥٢﴾﴾

[الأحزاب: ٤١-٤٢]

ولما كان أفضل الذكر: لا إله إلا الله وحده لا شريك له كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالتَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ

الْمَلِكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١) وَلَمَا كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْعَظِيمَةَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لَهَا هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةَ مِنْ بَيْنِ أَنْوَاعِ الذِّكْرِ وَيَتَعَلَّقُ بِهَا أَحْكَامٌ وَلَهَا شُرُوطٌ وَلَهَا مَعْنَى وَمُقْتَضَى، فَلَيْسَتْ كَلِمَةً تَقَالُ بِاللِّسَانِ فَقَطْ - لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ آثَرَتْ أَنْ تَكُونَ مَوْضُوعَ حَدِيثِي رَاجِعاً مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِهَا الْمُسْتَمْسِكِينَ بِهَا وَالْعَرَفِينَ لِمَعْنَاهَا، الْعَامِلِينَ بِمُقْتَضَاهَا ظَاهِراً وَبَاطِناً.

وسيكون حديثي عن هذه الكلمة في حُدُودِ النِّقَاطِ التَّالِيَةِ: -

مَكَانَةُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْحَيَاةِ، وَفَضْلُهَا، إِعْرَابُهَا، وَأَرْكَانُهَا وَشُرُوطُهَا وَمَعْنَاهَا، وَمُقْتَضَاهَا، وَمَتَى يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ التَّلَفُّظُ بِهَا، وَمَتَى يَنْفَعُهُ ذَلِكَ وَآثَارُ فَاأَقُولُ مُسْتَعِيناً بِاللَّهِ تَعَالَى: -

مكانة لا إله إلا الله في الحياة

إِنَّهَا كَلِمَةٌ يَعلُنُهَا المُسْلِمُونَ فِي أذَانِهِمْ وَإِقَامَتِهِمْ وَفِي خُطْبَتِهِمْ وَمَحَادِثَتِهِمْ وَهِيَ كَلِمَةٌ قَامَتْ بِهَا الأَرْضُ وَالسَّمَآوَاتُ، وَخُلِقَتْ لِأَجْلِهَا جَمِيعُ المَخْلُوقَاتِ، وَبِهَا أُرْسِلَ اللهُ رُسُلُهُ وَأُنزِلَ كِتَابُهُ وَشَرَعَ شَرَائِعُهُ، وَلِأَجْلِهَا نَصَبَتِ المَوَازِينَ وَوَضَعَتِ الدَّوَابِّ وَوَقَّامَ سَوَاقِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِهَا انْقَسَمَتِ الخَلِيقَةُ إِلَى المُؤْمِنِينَ وَكُفَّارِ، فَهِيَ مَنشَأُ الخَلْقِ وَالأَمْرِ وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ، وَعَلَيْهَا نَصَبَتِ القُبْلَةَ، وَعَلَيْهَا أُسِّسَتِ المَلَّةُ، وَلِأَجْلِهَا جَرَدَتِ سِیُوفُ الجِهَادِ، وَهِيَ حَقُّ اللهُ عَلَى جَمِيعِ العِبَادِ، فَهِيَ كَلِمَةُ الإِسْلَامِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلَامِ، وَعَنْهَا یَسْأَلُ الأُولُونَ وَالأُخْرُونَ... فَلا تَزُولُ قَدَمَا العَبْدُ بَیْنَ یَدِی اللهُ حَتَّى یَسْأَلَ عَن مَسْأَلَتَیْنِ: (مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ، وَمَاذَا أَجَبْتُمُ المُرْسِلِينَ)، وَالجَوَابُ الأَوَّلِ بِتَحْقِيقِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ مَعْرِفَةً وَإِقْرَارًا وَعَمَلًا، وَجَوَابُ الثَّانِيَةِ بِتَحْقِيقِ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهُ مَعْرِفَةً وَانْقِيَادًا وَطَاعَةً^(١).

هَذِهِ الكَلِمَةُ هِيَ الفَارِقَةُ بَیْنَ الكُفْرِ وَالإِسْلَامِ، وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى. وَالعُرْوَةُ الوَثْقِي وَهِيَ الَّتِي جَعَلَهَا إِبْرَاهِيمُ ﴿بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٨]. وَهِيَ الَّتِي شَهِدَ اللهُ بِهَا لِنَفْسِهِ وَشَهِدَتِ بِهَا مَلَائِكَتُهُ وَأُولُوا العِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُوا العِلْمِ قَابِئًا بِالقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾^(٢) [آل عمران: ١٨]. وَهِيَ كَلِمَةُ الإِخْلَاصِ وَشَهَادَةِ الحَقِّ، وَدَعْوَةِ الحَقِّ، وَبِرَاءَةِ مِنَ الشَّرْكِ، وَلِأَجْلِهَا خُلِقَ الخَلْقُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الحِجْنَ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وَلِأَجْلِهَا أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ وَأُنزِلَتِ الكُتُبُ، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبیاء: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُنزِلُ المَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

(١) زَادَ المَعَادُ لِابْنِ القَيْمِ (٢/١).

(٢) انظُرْ مَجْمُوعَةَ التَّوْحِيدِ (١٠٥ - ١٦٧).

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِنَ الْعِبَادِ نِعْمَةً أَكْبَرَ مِنْ أَنْ يَعْرِفَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَإِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا^(١)، فَمَنْ قَالَهَا عَصِمَ مَالَهُ وَدَمَهُ، وَمَنْ أَبَاهَا فَتَمَّ هَدْرٌ، فَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالَهُ، وَدَمَهُ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»^(٢). وَهِيَ أَوْلُ مَا يُطْلَبُ مِنَ الْكُفَّارِ عِنْدَمَا يَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مَعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوْلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» الْحَدِيثَ أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(٣).

وَبِهَذَا تَعَلَّمَ فِي الدِّينِ وَأَهْمِيَّتِهَا فِي الْحَيَاةِ وَأَتَمَّتْهَا أَوْلَ وَاجِبٍ عَلَى الْعِبَادِ لِأَنَّهَا أَسَاسُ الَّذِي تَبْنَى عَلَيْهِ جَمِيعَ الْأَعْمَالِ.

(١) كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ لِابْنِ رَجَبٍ ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الْإِيْتَانِ بِرَقْمِ (٢٣).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣/٢٥٥). وَمُسْلِمٌ فِي الْإِيْتَانِ بِرَقْمِ (١٩).

فَضْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

فلَهَا فَضَائِلٌ عَظِيمَةٌ وَلَهَا مِنْ اللَّهِ مَكَانَةٌ، مِنْ قَالَهَا صَادِقًا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ. وَمَنْ قَالَهَا كَاذِبًا حَقَّتْ دَمَهُ وَأَحْرَزَتْ مَالَهُ فِي الدُّنْيَا وَحَسَابَهُ عَلَى اللَّهِ ﷻ، وَهِيَ كَلِمَةٌ وَجِيزَةٌ اللَّفْظُ قَلِيلَةٌ الْخُرُوفُ خَفِيفَةٌ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَةٌ فِي الْمِيزَانِ.

فَقَدْ رَوَى ابْنُ حَبَانَ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ عَلَّمَنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا، قَالَ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يَا رَبُّ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئًا تُحْصِنِي بِهِ، قَالَ: يَا مُوسَى لَوْ كَانَ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ، وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعُ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١) فَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هِيَ أَفْضَلُ الذِّكْرِ، وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالتَّبَيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ^(٢).

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ثِقَلِهَا فِي الْمِيزَانِ أَيْضًا مَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَةً، وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِنْهَا مَدَ الْبَصَرِ ثُمَّ يُقَالُ أَتَنَكَّرَ مِنْ هَذَا شَيْئًا، فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: أَلَيْكَ عَذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ فِيهَا الرَّجُلُ فَيَقُولُ لَا - فَيُقَالُ بَلَى إِنْ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، إِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ فَيُخْرَجُ لَهُ بَطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَظْلَمُ، فَتُوضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتْ السَّجَلَاتُ وَثَقَلَتْ الْبَطَاقَةُ»^(٣).

وَلِهَذِهِ الْكَلِمَةُ الْعَظِيمَةُ فَضَائِلٌ كَثِيرَةٌ ذَكَرَ جَمَلَةً مِنْهَا الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ فِي رِسَالَتِهِ الْمُسَمَّاةِ (كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ) وَاسْتَدَلَّ لِكُلِّ فَضِيلَةٍ وَمِنْهَا: أَنَّهَا ثَمَنُ الْجَنَّةِ، وَمَنْ كَانَتْ آخِرَ كَلَامِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهِيَ نَجَاةٌ مِنَ النَّارِ: وَهِيَ تَوْجِبُ الْمَغْفِرَةَ، وَهِيَ أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ، وَهِيَ تَمْحُو الذُّنُوبَ وَالْخَطَايَا وَهِيَ تَجِدُّ مَا دَرَسَ مِنَ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ وَتَرْجِعُ بِصَحَائِفِ الذُّنُوبِ، وَهِيَ تَحْرِقُ الْحُجُبَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى اللَّهِ ﷻ

(١) رَوَاهُ الْحَاكِمُ (٥٢٨/١). وَابْنُ حَبَانَ بِرَقْمِ (٢٣٢٤) مُورِدُ الظَّمَانِ.

(٢) التِّرْمِذِيُّ فِي الدَّعَوَاتِ رَقْمِ (٣٥٧٩).

(٣) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ رَقْمِ (٢٦٤١) فِي الْإِيمَانِ. وَالْحَاكِمُ (١/٦ - ٥) وَغَيْرُهُمَا.

وَهِيَ كَلِمَةُ الَّتِي يَصْدَقُ اللَّهُ قَائِلَهَا وَهِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ وَأَكْثَرُهَا تَضَعِيفًا وَتَعْدِلُ عَتَقَ الرَّقَابِ وَتَكُونُ حُرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، وَهِيَ أَمَانٌ وَحِشَّةُ الْقَبْرِ وَهَوْلُ الْحُشْرِ، وَهِيَ شِعَارُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا قَامُوا مِنْ قُبُورِهِمْ. وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنَّهَا تَفْتَحُ لِقَائِلَهَا أَبْوَابَ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ، وَمِنْ فَضَائِلِهَا أَنْ أَهْلِهَا وَإِنْ دَخَلُوا النَّارَ بِتَقْصِيرِهِمْ فِي حُقُوقِهَا فَإِنَّهُمْ لَا بَدَأَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا، هَذِهِ عَنَاوِينُ الْفَضَائِلِ الَّتِي ذَكَرَهَا ابْنُ رَجَبٍ فِي رِسَالَتِهِ وَاسْتَدَلَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا^(١).

(١) كلمة الإخلاص لابن رجب ٥٤ - ٦٦.

إعرابها وأركانها وشروطها

أ - إعرابها

إذا كَانَ فِهم المعنى يتَوَقَّف على معرفة إعراب - الجمل فإِن العلماء رَحِمهم الله قد اهتموا بإعراب لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - فَقَالُوا: لا - نَافِيَةٌ مَحذُوف تَقْدِيره -: (حق) أَي لا إِلَهَ حق، وَإِلَّا وَاللهِ اسْتِثْنَاء من الحَبَر المَرْفُوع - والإله مَعْنَاهُ: المألُوه بِالْعِبَادَةِ - وَهُوَ الَّذِي تَأله القُلُوب وتقصده رَغْبَةً إِلَيْهِ فِي حُصُول نفع أو دفع ضَرَر، ويغلط من قدر خَبَرها بِكَلِمَةٍ: (مَوْجُودَةٌ أو معبود) فَقَط، لِأَنَّهُ يُوجد معبودات كَثِيرَةٌ من الأَصْنَام والأضرحة وَغَيْرها وَلَكِن المعبود بِحق هُوَ اللهُ، وَمَا سِوَاهُ فمعبود باطل وعبادته باطِلَةٌ، وَهَذَا مُفْتَضَى ركني لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

ب - ركننا لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

لَهَا ركنان: الرُّكْنُ الأَوَّل: النَّفْيُ - والركن الثَّانِي الإِثْبَات. والمَرَاد بِالنَّفْيِ الإِلهِيَّة عَمَّا سِوَى اللهُ تَعَالَى من سَائِر المَخْلُوقَات. والمَرَاد بِالإِثْبَاتِ إثْبَات الإِلهِيَّة اللهُ سُبْحَانَهُ فَهُوَ الإِلَه الحَق وَمَا سِوَاهُ من الأَلِهَة الَّتِي اتَّخَذها المُشْرِكُونَ فَكلها باطِلَةٌ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الباطِلُ﴾ [الحج: 6٢].

قَالَ الإمام ابن القيم: فدلالة لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ على إثبات إلهيته أعظم من دلالة قوله: اللهُ إِلَهٌ وهذا لأنَّ قوله (الله إِلَه) لا يَنْفِي إلهة مَا سِوَاهُ بِخِلاف قول: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَإِنَّهُ يَقْتَضِي حصر الألوهية ونفيها عَمَّا سِوَاهُ، وَقَدْ غلَط غلطاً فاحِشاً كَذَلِكَ من فسر الإِلَهَ بِأَنَّهُ القَادِر على الاختراع فَقَط. قَالَ الشَّيْخ سُلَيْمَان بن عبد الله فِي شرح كتاب التَّوْحِيد - فَإِن قيل تبين معنى الإِلَهَ والإِلهِيَّة فَمَا الجُواب عَن قول من قَالَ بِأَنَّ معنى الإِلَهَ القَادِر على اختراع وَنَحْو هذه العبارة - قيل الجُواب من وَجْهَيْن أحدهما أَن هذا القول مُبْتَدَع لا يعرف أَحَد قَالَهُ من العلماء وَلَا من أُمَّة اللُّغَة وَكَلَام العلماء وَأُمَّة اللُّغَة هُوَ معنى مَا ذكرنا كَمَا تقدم^(١) فيكون باطلاً.

(١) وَهُوَ ما ذكرته فِي أركان لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

الثَّانِي: على تَقْدِيرِ فَهُوَ تَفْسِيرٌ بِاللَّازِمِ لِلإِلهِ الْحَقِّ، فَإِنَّ اللَّازِمَ خَالِقًا قَادِرًا عَلَى الْإِخْتِرَاعِ، وَمَتَى لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ بِإِلهٍ حَقٍّ وَإِنْ سُمِّيَ إِلهًا، وَلَيْسَ مُرَادُهُ أَنْ مَنْ عَرَفَ أَنَّ الْإِلهَ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى الْإِخْتِرَاعِ فَقَدْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ وَأَتَى بِتَحْقِيقِ الْمَرَامِ مِنْ مِفْتَاحِ السَّلَامِ فَإِنَّ هَذَا لَا يَقُولُهُ أَحَدٌ، لِأَنَّهُ يَسْتَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ كِفَارَ الْعَرَبِ مُسْلِمِينَ، وَلَوْ قَدِرَ أَنْ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ أَرَادَ ذَلِكَ فَهُوَ مُحْطٌ يَرُدُّ عَلَيْهِ الدَّلَائِلُ السَّمْعِيَّةُ وَالْعَقْلِيَّةُ^(١).

ح - وَأَمَّا شُرُوطُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

فَائِئْتًا لَا تَنْفَعُ قَائِلَهَا - إِلَّا بِسَبْعَةِ شُرُوطٍ: -

الأول: العلم بمعناها نفيًا وإثباتًا. فَمَنْ تَلَفَظَ بِهَا وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهَا وَمَقْتَضَاهَا فَائِئْتًا لَا تَنْفَعُهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْتَقِدْ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ كَالَّذِي يَتَكَلَّمُ بِلُغَةٍ لَا يَفْهَمُهَا.

الثاني: اليقين وهو كمال العلم بها المنافي للشك والريب.

الثالث: الإخلاص المنافي للشرك، وهو ما تدل عليه لا إله إلا الله.

الرابع: الصدق المانع من النفاق، فإيئتهم يقولونها بألسنتهم غير معتقدين لمدلولها.

الخامس: المحبة لهذه الكلمة ولما دلت عليه والشروع بذلك. بخلاف ما عليه المنافقون.

السادس: الانقياد بأداء حقوقها وهي الأعمال الواجبة إخلاصاً لله وطلباً لمرضاته، وهذا هو

مقتضاها.

السابع: القبول المنافي للرد^(٢) وذلك بالانقياد لأوامر الله وترك ما نهى عنه.

وهذه الشروط قد استنبطها العلماء من نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بخصوص هذه

الكلمة العظيمة ويان حقوقها وقبورها وأنها ليست مجرد لفظ يقال باللسان.

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٨٠.

(٢) فتح المجيد ص ٩١.

معنى الكَلِمَة ومقتضاها

اتضح ممَّا سبق أن معنى لا إله إلا الله لا معبود بحق إلا إله واحد وهو الله وحده لا شريك له، لأنه المُستحق للعبادة فتضمنت هذه الكَلِمَة العَظِيمَة أن ما سوى الله من سائر المعبودات ليس بإله حق وأنه باطل، لأنه لا يستحق العبادة.

ولهذا كثيراً ما يرد الأمر بعبادة الله مقررنا ينفي عبادة ما سواه، لأن عبادة الله لا تصح مع إشراك غيره معه قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال ﷺ «ومن قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم دمه وماله»^(١).

وكل رسول يقول لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

إلى غير ذلك من الأدلة قال الإمام ابن رجب رحمته: وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد: لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله والإله هو الذي يطاع فلا يعصي هيبة له إجلالاً، ومحبة وخوفاً ورجاء وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاء له ولا يصلح ذلك كله إلا الله ﷻ.

ولهذا لما قال النبي ﷺ لكفار قريش: «قولوا لا إله إلا الله»، قالوا: ﴿أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ

هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص: ٥].

ففهموا من هذه الكَلِمَة أنها تبطل عبادة الأصنام كلها وتحصر العبادة لله وحده وهو لا يريدون ذلك، فتبين بهذا المعنى أن معنى لا إله إلا الله ومقتضاها أفراد الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه، فإذا قال العبد: لا إله إلا الله فقد أعلن وجوب أفراد الله بالعبادة وبطلان ما سواه والقبور والأولياء والصالحين، وبهذا لا يبطل ما يعتقد عباد القبور اليوم وأشباههم من أن معنى لا إله إلا الله هو

(١) صحيح مسلم رقم (٢٣). كتاب الإيمان.

الإِقْرَارُ بِأَنَّ اللَّهَ مُوجُودٌ أَوْ أَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ الْقَادِرُ عَلَى الْإِخْتِرَاعِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ. وَأَنَّ مَعْنَاهَا لَا حَاكِمِيَّةَ إِلَّا لِلَّهِ وَيُظَنُّونَ أَنَّ مَنْ اعْتَقَدَ ذَلِكَ وَفَسَّرَ بِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ الْمَطْلُوقَ وَكَوَّفَعَلَ مَا فَعَلَ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ وَالْإِعْتِقَادِ بِالْأَمْوَاتِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِمْ بِالذَّبَائِحِ وَالتَّذْوِيرِ وَالتَّوَاتُفِ بِقُبُورِهِمْ وَالتَّبَرُّكِ بِتَرْتِبِهِمْ، وَمَا شَعَرَ هَؤُلَاءِ أَنَّ كُفَّارَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِينَ يَشَارِكُونَهُمْ فِي هَذَا الْإِعْتِقَادِ وَيَعْرِفُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ خَالِقُ الْقَادِرِ عَلَى الْإِخْتِرَاعِ وَيَقْرُونَ بِذَلِكَ وَأَنَّهُمْ مَا عَبَدُوا غَيْرَهُ إِلَّا لَزَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ يَقْرَبُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ زَلْفَى لَا أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ وَيُرْزُقُونَ فَالْحَاكِمِيَّةُ جُزْءٌ مِنْ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَيْسَتْ هِيَ مَعْنَاهَا الْحَقِيقِيَّ الْمَطْلُوبَ فَلَا يَكْفِي الْحُكْمَ بِالشَّرِيعَةِ فِي الْحُقُوقِ وَالْحُدُودِ وَالْخُصُومَاتِ مَعَ وَجُودِ الشَّرِكِ فِي الْعِبَادَةِ.

وَلَوْ كَانَ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا زَعَمَهُ هَؤُلَاءِ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ نِزَاعٌ بَلْ كَانُوا يَبَادِرُونَ إِلَى إِجَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِذَا قَالَ لَهُمْ أَقْرُوا بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى الْإِخْتِرَاعِ أَوْ أَقْرُوا أَنَّ اللَّهَ مُوجُودٌ. أَوْ قَالَ لَهُمْ تَحَاكَمُوا إِلَى الشَّرِيعَةِ فِي الدَّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْحُقُوقِ وَسَكَتَ عَنِ الْعِبَادَةِ. وَلَكِنَّ الْقَوْمَ وَهُمْ أَهْلُ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَهَمُّوا أَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَقَدْ أَقْرُوا بِبُطْلَانِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَأَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ لَفْظٍ لَا مَعْنَى لَهُ، وَهَذَا نَفَرُوا مِنْهَا وَقَالُوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

كَمَا قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وَيَقُولُونَ آيْنَا تَارِكُوا

الْهَيْتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣١﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦].

فَعَرَفُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَقْتَضِي تَرْكِ عِبَادَةِ مَا سِوَى اللَّهِ وَإِفْرَادِ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ، لَوْ قَالُوا عَلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ لَتَنَاقَضُوا مَعَ أَنْفُسِهِمْ وَاسْتَمَرُّوا عَلَى عِبَادَةِ التَّنَاقُضِ، وَعِبَادَةُ الْقُبُورِ الْيَوْمَ لَا يَأْتُونَ مِنْ هَذَا التَّنَاقُضِ الشَّيْعِ فَهَمْ يَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ يَنْقُضُونَهَا بِعِبَادَةِ الْأَمْوَاتِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى الْأَضْرَحَةِ بِأَنْوَاعِ مِنَ الْعِبَادَاتِ فَتَبَّأَ لِمَنْ كَانَ أَبُو جَهْلٍ وَأَبُو هَبٍ أَعْلَمَ مِنْهُ بِمَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَالْحَاصِلُ أَنَّ مَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ عَارِفًا لِمَعْنَاهَا عَامِلًا بِمَقْتَضَاهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مِنْ نَفْيِ الشَّرِكِ وَإِثْبَاتِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ مَعَ الْإِعْتِقَادِ الْجَازِمِ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ وَالْعَمَلِ بِهِ فَهُوَ الْمُسْلِمُ حَقًّا، وَمَنْ قَالَهَا وَعَمِلَ بِهَا وَبِمَقْتَضَاهَا ظَاهِرًا مِنْ غَيْرِ إِعْتِقَادٍ لِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَمَنْ قَالَهَا بِلِسَانِهِ وَعَمِلَ بِخِلَافِهَا مِنَ الشَّرِكِ الْمُنَافِي لَهَا فَهُوَ الْمُشْرِكُ الْمُنَاقِضُ فَلَا يَدُ مَعَ النَّطْقِ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ مِنْ مَعْرِفَةِ مَعْنَاهَا، لِأَنَّ ذَلِكَ وَسِيلَةٌ لِلْعَمَلِ بِمَقْتَضَاهَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]

وَالْعَمَلُ بِمَقْتَضَاهَا هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَالْكَفْرُ بِعِبَادَةِ مَا سِوَاهُ وَهُوَ الْعَايَةُ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ؛ وَمَنْ يَقْتَضِي لِآ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهَ قَبُولَ تَشْرِيعِ اللَّهِ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، وَرَفْضَ تَشْرِيعِ مَنْ سِوَاهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

فلا بد من قبول تشريع الله في العبادات والمعاملات والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه في الأحوال الشخصية وغيرها رفض القوانين الوضعية، ومعنى ذلك رفض الجميع البدع والخرافات التي يتدعها ويروجها شياطين الإنس والجن في العبادات ومن تقبل شيئاً من ذلك فهو مشرك كما قال في هذه الآية: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَعْطَمْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١].

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: تَلَى هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى عَدِيِّ بْنِ حَاتِمِ الطَّائِي ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَجْلُونَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَجْلُونَهُ، وَيَحْرَمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتَحْرَمُونَهُ» قَالَ: بَلَى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَتَلِكِ عِبَادَتُهُمْ»^(١).

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَصَارَتْ طَاعَتُهُمْ فِي الْمُعْصِيَةِ عِبَادَةً لِغَيْرِ اللَّهِ وَبِهَا اتَّخَذُوهُمْ أَرْبَابًا الْمُنَافِي لِلتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ مَذْبُولٌ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ... فَتَبَيَّنَ أَنَّ كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ نَفَتْ هَذَا كُلَّهُ لِمُنَافَاتِهِ لِمَذْبُولِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ^(٢).

وَكَذَلِكَ يَجِبُ رَفْضُ التَّحَاكُمِ الْقَوَانِينِ لِأَنَّهُ يَجِبُ التَّحَاكُمُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَتَرَكَ التَّحَاكُمَ إِلَى مَا عَدَاهُ مِنَ النَّظْمِ وَالْقَوَانِينِ الْبَشَرِيَّةِ...

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا اختلفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الشورى: ١٠].
وَقَدْ حَكَمَ سُبْحَانَهُ بِكَفْرِ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَبِظُلْمِهِ وَفَسَقِهِ. وَنَفَى عَنْهُ الْإِيْمَانَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِذَا كَانَ الْحَاكِمُ بِهِ يَسْتَبِيحُهُ أَوْ يَرَى أَنَّهُ أَصْلَحُ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ وَأَحْسَنُ فَهَذَا كُفْرٌ وَشُرْكٌ يُنَافِي التَّوْحِيدَ وَيُنَاقِضُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَمَامَ الْمُنَاقِضَةِ - وَإِنْ كَانَ لَا يَسْتَبِيحُ ذَلِكَ وَيَعْتَقِدُ أَنَّ حُكْمَ

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ رَقْمَ (٣٠٩٤). فِي التَّفْسِيرِ

(٢) فَتْحُ الْمَجِيدِ (١٠٧).

الله هُوَ الَّذِي يَجِبُ الْحُكْمُ بِهِ - وَلَكِنْ حَمَلَهُ الْهُوَى عَلَى مُحَالَفَتِهِ فَهَذَا كَفَرٌ أَصْغَرَ وَشَرِكٌ أَصْغَرَ يُنْقَضُ
معنى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ومقتضاها.

إِذَا فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مَنْهَجٌ مُتَكَامِلٌ يَجِبُ أَنْ يَسِيْرَ عَلَى حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَجَمِيعِ عِبَادَاتِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ
فَلَيْسَتْ لَفْظًا يَرُدُّ لِلْبِرْكََةِ وَالْأَوْرَادِ الصَّبَاحِيَّةِ وَالْمَسَائِيَّةِ بِدُونِ فَهْمِ لِمَعْنَاهُ وَعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ وَالسِّيْرَ عَلَى
مَنْهَجِهِ كَمَا يَظُنُّهُ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَتَلَفِظُونَ بِهَا بِالسُّتْهِمْ وَيُخَالِفُونَ فِي مَعْتَقَدَاتِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ.

وَمَنْ مُقْتَضَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِبْتِثَاتِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي سُمِّيَ وَوَصِفَ بِهَا نَفْسَهُ أَوْ سَمَّاهُ وَوَصَفَهُ
بِهَا رَسُولُهُ ﷺ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ
سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قَالَ فِي الْفَتْحِ الْمَجِيدِ: أَصْلُ الْإِلْحَادِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الْعُدُولُ عَنِ الْقَصْدِ وَالْمِيلُ وَالْجُورُ وَالانْحِرَافُ
وَأَسْمَاءُ الرَّبِّ تَعَالَى كَلَهَا وَأَوْصَافُ تَعَرَّفَ بِهَا تَعَالَى إِلَى عِبَادِهِ وَدَلَّتْ عَلَى كَمَالِهِ جَلٌّ وَعَلا.

وَقَالَ هَيْدَرٌ^(١) فَالْإِلْحَادُ فِيهَا مَا يَجْحَدُهَا وَإِنْكَارُهَا، وَأَمَا يَجْحَدُ مَعَانِيَهَا وَتَعْطِيهَا، وَأَمَا بِتَحْرِيفِهَا عَنِ
الصَّوَابِ وَإِخْرَاجِهَا عَنِ الْحَقِّ بِالتَّأْوِيلَاتِ، وَأَمَا أَنْ يَجْعَلَهَا أَسْمَاءَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ كَالْحَادِ أَهْلِ الْإِتِّحَادِ
فَأَيْتُهُمْ جَعَلُوهَا أَسْمَاءَ هَذَا الْكُونِ مَحْمُودَهَا وَمَذْمُومَهَا....انْتَهَى.

فَمَنْ أَلْحَدَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ بِالتَّعْطِيلِ وَالتَّأْوِيلِ أَوْ التَّنْوِيضِ وَلَمْ يَعْتَقِدْ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْنَى
الْجَلِيلَةِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمَعْتَزَلَةِ وَالْأَشَاعِرَةِ فَقَدْ خَالَفَ مَدْلُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ - لِأَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الَّذِي يَدْعَى
وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ - كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ وَالَّذِي لَيْسَ لَهُ أَسْمَاءٌ وَلَا صِفَاتٌ كَيْفَ
يَكُونُ إِلَهًا وَكَيْفَ يَدْعَى وَبِذَا يَدْعَى...

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ: «تَنَازَعُ النَّاسُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ وَلَمْ يَتَنَازَعُوا فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَخْبَارِهَا
فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ بَلْ اتَّفَقَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ عَلَى إِقْرَارِهَا وَإِمْرَارِهَا مَعَ فَهْمِ مَعَانِيهَا وَإِثْبَاتِ حَقَائِقِهَا،
وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ أَعْظَمُ التَّوَعِينِ بَيَانًا وَأَنَّ الْعِنَايَةَ بَيَانًا أَهْمٌ، لِأَنَّهَا مِنْ تَمَامِ تَحْقِيقِ الشَّهَادَتَيْنِ وَإِثْبَاتِهَا
مِنْ لَوَازِمِ التَّوْحِيدِ فَبَيْنَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَسُولَهُ بَيَانًا شَافِيًا لَا يَقَعُ فِيهِ لَيْسٌ».
وَآيَاتِ الْأَحْكَامِ لَا يَكَادُ يَفْهَمُ مَعَانِيَهَا إِلَّا الْخَاصَّةُ مِنَ النَّاسِ.

(١) فتح المجيد ص ٥٣٧ - ٥٣٨. وأنظر مدارج السالكين (١/ ٢٩ - ٣٠) لأن القيم.

وَأَمَّا آيَاتُ الصِّفَاتِ فَيَشْتَرِكُ فِي فِهْمِ مَعْنَاهَا الْخَاصُّ وَالْعَامُّ، أَعْنِي فِهْمَ أَصْلِ الْمَعْنَى لَا فِهْمَ الْكُنْهِ وَالْكِيفِيَّةِ^(١).

وَقَالَ أَيُّضًا: وَهَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ بِالْفِطْرِ وَالْعُقُولِ السَّلِيمَةِ وَالْكِتَابِ السِّمَاءِيَّةِ أَنْ فَاقِدَ صِفَاتِ الْكَمَالِ لَا يَكُونُ إِلَهًا وَلَا مُدْبِرًا وَلَا رَبًّا، بَلْ هُوَ مَذْمُومٌ مَعِيْبٌ نَاقِصٌ، لَيْسَ لَهُ الْحَمْدُ لَا فِي الْأُولَى وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ لِمَنْ لَهُ صِفَاتُ الْكَمَالِ وَنَعَوَاتُ الْجَلَالِ الَّتِي لِأَجْلِهَا اسْتَحَقَّ الْحَمْدَ، وَهَذَا سَمِيَ السَّلْفَ كَتَبَهُمُ الَّتِي صَنَفُوهَا فِي السَّنَةِ وَإِثْبَاتِ صِفَاتِ الرَّبِّ وَعُلُوهِ فِي خَلْقِهِ وَكَلَامِهِ وَتَكْلِيمِهِ تَوْحِيدًا، لِأَنَّ نَفْيَ ذَلِكَ وَإِنْكَارَهُ وَالْكَفْرَ بِهِ إِنْكَارٌ لِلصَّانِعِ وَجَحْدٌ لَهُ، وَإِنَّمَا تَوْحِيدُ إِثْبَاتِ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالنَّقَائِضِ^(٢).

(١) مُخْتَصَرُ الصَّوَاعِقِ الْمُرْسَلَةِ (١/١٥).

(٢) مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (١/٢٦).

مَتَى يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ قَوْلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَمَتَى لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ

سبق أن قلنا أن قول لا إله إلا الله لا يكون مصحوباً بمعرفة معناها والعمل بمقتضاها ولكن لما كان هناك نصوص قد يتوهم منها إن مجرد التلفظ بها يكفي وقد تعلق بهذا الوهم بعض الناس، اقتضى إيضاح ذلك لإزالة هذا الوهم عمّن يريد الحق، قال الشيخ سليمان رحمه الله على حديث عتبان... الذي فيه: «أن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»^(١) قال: أعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أنه من أتى بالشهادتين حرم على النار كهذا الحديث وحديث أنس قال: كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل فقال: «يا معاذ: قال ليك يا رسول الله وسعديك، قال ما عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا حرمه الله من النار»^(٢) ولمسلم عن عبادة مرفوعاً: «ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله حرمه الله على النار»^(٣) ووردت أحاديث فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة وليس فيها أنه حرم على النار منها حديث أبي هريرة أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك - الحديث فيه - فقال النبي ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يليق الله بها عبد غير شاك فيحجب عن الجنة» رواه مسلم^(٤).

مَا قَالَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ

قال: «وأحسن ما قيل في معناه ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره: أن هذه الأحاديث إنما هي فيمن قالها ومات عليها، كما جاءت مقيدة وقالها خالصاً من قلبه مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها وبصدق ويقين، فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله جملة فمن شهد أن لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحاً فإذا مات على تلك الحال نال ذلك، فإنه قد توترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان قلبه من الخير ما يزن شعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذرة، وتوترت بأن كثيراً ممن

(١) رواه البخاري ٢٠٦/١١. ومسلم رقم (٣٣).

(٢) رواه البخاري ١٩٩/١.

(٣) صحيح مسلم (١/٢٢٨ - ٢٢٩). بشرح النووي.

(٤) صحيح مسلم (١/٢٢٤). بشرح النووي.

يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَدْخُلُ النَّارَ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا، وَتَوَاتَرَتْ بِأَنَّ اللَّهَ حَرَمٌ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ مِنْ ابْنِ آدَمَ فَهَؤُلَاءِ كَانُوا يَصِلُونَ وَيَسْجُدُونَ لِلَّهِ، وَتَوَاتَرَتْ بِأَنَّهُ يَجْرِمُ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، لَكِنْ جَاءَتْ مُقَيَّدَةً بِالْقِيُودِ الثَّقَالِ وَأَكْثَرَ مِنْ يَقُولِهَا لَا يَعْرِفُ الْإِخْلَاصَ وَلَا الْيَقِينَ وَمَنْ لَا يَعْرِفُ ذَلِكَ يُخْشَى عَلَيْهِ أَنْ يَفْتَنَ عَنْهَا عِنْدَ الْمَوْتِ فَيَحَالُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، وَأَكْثَرَ مِنْ يَقُولِهَا تَقْلِيدًا وَعَادَةً لَمْ يَخَالِطِ الْإِبْرَانَ بِشَاشَةِ قَلْبِهِ، وَغَالِبٌ مِنْ يَفْتَنُ عِنْدَ الْمَوْتِ وَفِي الْقُبُورِ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقَتَلَهُ» وَغَالِبُ أَعْمَالِ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا هُوَ تَقْلِيدٌ وَاقْتِدَاءٌ بِأَمْثَالِهِمْ وَهُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وَحِينَئِذٍ فَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْأَحَادِيثِ فَإِنَّهُ إِذَا قَالَهَا بِإِخْلَاصٍ وَيَقِينٍ تَامٌ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْحَالِ مُضْرًّا عَلَى ذَنْبٍ أَصْلًا، فَإِنْ كَمَالَ إِخْلَاصَهُ وَيَقِينَهُ يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا لَا يَبْقَى فِي قَلْبِهِ إِزَادَةٌ لِمَا حَرَّمَ عَلَى النَّارِ وَإِنْ كَانَتْ لَهُ ذُنُوبٌ قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذَا الْإِبْرَانَ وَهَذِهِ التَّوْبَةَ وَهَذَا الْإِخْلَاصَ وَهَذِهِ الْمُحَبَّةَ وَهَذَا الْيَقِينَ لَا تَتْرُكُ لَهُ ذَنْبًا إِلَّا يَمْحَى كَمَا يَمْحَى اللَّيْلُ بِالنَّهَارِ، انْتَهَى كَلَامُهُ ^(١).

مَا قَالَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ ^(٢)

وَلَهُمْ شُبُهَةٌ أُخْرَى يَقُولُونَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنْكَرَ عَلَى أُسَامَةَ قَتْلَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقَالَ: «أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وَأَحَادِيثُ أُخْرَى فِي الْكُفِّ عَمَّنْ قَالَهَا وَمُرَادُ هَؤُلَاءِ الْجَهْلَةَ أَنْ مَنْ قَالَهَا لَا يَكْفُرُ وَلَا يَقْتُلُ وَلَا فَعَلَ مَا فَعَلَ، فَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْجُهَّالِ مَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَ الْيَهُودَ وَسَبَّاهُمْ وَهُمْ يَقُولُونَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَاتَلُوا بَنِي حَنِيفَةَ وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيَصَلُّونَ وَيَدْعُونَ الْإِسْلَامَ، وَكَذَلِكَ الَّذِينَ حَرَقَهُمْ بَنِي طَالِبٍ، وَهَؤُلَاءِ الْجَهْلَةُ مَقْرُونُونَ أَنْ مَنْ أَنْكَرَ الْبُعْثَ كَفَرَ وَقَتَلَ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مَنْ جَحَدَ شَيْئًا مِنْ أَرْكَانِ

(١) تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد ص ٦٦ - ٦٧

(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ١٢٠ - ١٢١.

الإسلام كفر وقتل ولو قالها فكيف تنفعه إذا جحد شيئاً من الفروع وتنفعه إذا جحد التوحيد الذي هو أصل دين الرُّسل ورأسه ولكن أعداء الله ما فهموا معنى الأحاديث.

وقال ﷺ: فأما حديث أسامة فإنه قتل رجلاً ادعى الإسلام بسبب أنه ظن أنه، ما ادعاه إلا خوفاً على دمه وماله، والرجل إذا أظهر الإسلام وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك وأنزل الله في ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء: ٩٤].

أي فتثبتوا فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت فإن تبين بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل لقوله: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ ولو كان لا يقتل إذا قالها لم يكن للتثبت معنى، وكذلك الحديث الآخر وأمثاله معناه ما ذكرناه من أن من أظهر الإسلام والتوحيد وجب الكف عنه إلا أن يتبين منه ما يناقض ذلك... والدليل على هذا أن الرسول ﷺ الذي قال: «أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله» وقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» هو الذي قال في الخوارج «أينما لقيتموهم فاقتلوهم، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عادٍ» مع كونهم من أكثر الناس تهليلاً حتى أن الصحابة يحقرون أنفسهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم لا إله إلا الله ولا كثرة العبادة ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة وكذلك ما ذكرناه من قتال اليهود وقاتل الصحابة بني حنيفة.

ما قاله الحافظ بن رجب

وقال الحافظ ابن رجب في رسالته المسماة: (كلمة الإخلاص)^(١) «على قوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله» قال: ففهم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك فتوقفوا في قتال ما نعي الزكاة وفهم الصديق أنه لا يمنع قتاله إلا بأداء حقوقها لقوله ﷺ: «فإذا فعلوا ذلك منعوا مني دمائهم إلا بحقوقها وحسابهم على الله»، وقال: «الزكاة حق المال» وهذا الذي فهمه الصديق قد رواه عن النبي ﷺ صريحاً غير واحد من الصحابة منهم ابن عمر وأنس وغيرهما وأنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» وقد دل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]

(١) كلمة الإخلاص لابن رجب ص (١٣ - ١٤).

كَمَا دَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١] على أن الأخوة في الدين لا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد، فإن التوبة من الشرك لا تحصل إلا بالتوحيد فلما قرر أبو بكر هذا للصحابة رجعوا إلى قوله ورأوه صوابا فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمّن أذى الشهادتين مطلقاً، بل يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام فكذلك عقوبة الآخرة، وقال أيضاً^(١): وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ أَنَّ التَّلَفُّظَ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَمُقْتَضَى لَذَلِكَ.

وَلَكِنَّ الْمُقْتَضَى لَا يَعْمَلُ عَمَلُهُ إِلَّا بِاسْتِجْمَاعِ شُرُوطِهِ وَإِنْتِفَاءِ مَوَانِعِهِ، فَقَدْ يَتَخَلَّفُ عَنْهُ مُقْتَضَاهُ لِعَوَاتِ شَرَطٍ مِنْ شُرُوطِهِ أَوْ لَوْجُودِ مَانِعٍ - وَهَذَا قَوْلُ الْحَسَنِ وَوَهَبِ بْنِ مُنَبِّهِ وَهُوَ الْأَظْهَرُ - ثُمَّ ذَكَرَ عَنِ الْحَسَنِ الْبُصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِلْفَرَزْدَقِ وَهَوَاةٌ يَدْفَنُ امْرَأَتَهُ: مَا أَعَدَدْتُ لِهَذَا الْيَوْمِ - قَالَ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُنْذُ سَبْعِينَ سَنَةً - قَالَ الْحَسَنُ: نَعَمْ أَلْعَدَّةُ - لَكِنَّ لِلَّهِ إِلَّا اللَّهُ شُرُوطٌ فَيَاكَ وَقَدْفَ الْمُحْصَنَاتِ - وَقِيلَ لِلْحَسَنِ: أَنْ أَنَا سَأُيَقُولُونَ مِنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَقَالَ: مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَأَدَى حَقَّهَا وَفَرْضَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ وَقَالَ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهِ لَمَنْ سَأَلَهُ: أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحَ الْجَنَّةِ - قَالَ: بَلَى وَلَكِنْ مَا مِنْ مِفْتَاحٍ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فَتَحَ لَكَ وَإِلَّا لَمْ يَفْتَحْ لَكَ.

وَأُظِنَ أَنَّ فِي هَذَا الْقَدْرِ الَّذِي نَقَلْتَهُ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ كِفَايَةً فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبُهَةِ الَّتِي تَعْلُقُ بِهَا مِنْ ظَنِّ أَنَّ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَكْفُرُ وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّرِكِ الْأَكْبَرِ الَّتِي تَمَارَسُ الْيَوْمَ عِنْدَ الْأَضْرَحَةِ وَقُبُورِ الصَّالِحِينَ مِمَّا يَنَاقِضُ كَلِمَةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَمَامَ الْمُنَاقِضَةِ وَيُضَادُّهَا تَمَامَ الْمُضَادَّةِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ أَهْلِ الزِّيغِ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ مِنَ النُّصُوصِ الْمَجْمُوعَةِ مَا يَظُنُّونَ أَنَّهُ حِجَّةٌ لَهُمْ وَيَتْرَكُونَ مَا بَيْنَهُ وَيُوضِحُهُ النُّصُوصِ الْمَفْصُلة كَحَالِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَيَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ النَّاسِ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران: ٧-٩].

اللَّهُمَّ ارْنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَارْنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارزُقْنَا اجْتِنَابَهُ...

آثار لا إله إلا الله

هَذِهِ الْكَلِمَةُ إِذَا قِيلَتْ بِصِدْقٍ وَإِخْلَاصٍ وَعَمَلٍ بِمَقْتَضَاهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا آثَارٌ حَمِيدَةٌ عَلَى الْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ أَهْمِهَا: -

١- اجْتِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي يَنْتُجُ عَنْهَا حُصُولُ الْقُوَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ وَالانْتِصَارَ عَلَى عَدُوِّهِمْ لِأَنَّهُمْ يَدِينُونَ بِدِينٍ وَاحِدٍ وَعَقِيدَةٍ وَاحِدَةٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣].

والاختلاف في العقيدة بسبب التفرق والنزاع والتناحر كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].
فَلَا يَجْمَعُ النَّاسُ سِوَى عَقِيدَةِ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ الَّتِي هِيَ مَذْلُولٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاعْتَبَرَ ذَلِكَ بِحَالَةِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْدَهُ.

٢- تَوْفُرُ الْأَمْنِ وَالتَّطْمَئِنَّةِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْمُوَحَّدِ الَّذِي يَدِينُ بِمُقْتَضَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ أَفْرَادُهُ يَأْخُذُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ وَيَتْرِكُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَفَاعُلًا مَعَ عَقِيدَتِهِ الَّتِي تَمَلَّى عَلَيْهِ ذَلِكَ فَيَنْكَفِرُ عَنِ الْاِعْتِدَاءِ وَالظُّلْمِ وَالعُدْوَانِ وَيَحِلُّ مَحَلَّ ذَلِكَ التَّعَاوُنِ وَالمَحَبَّةِ وَالمَوْلَاةِ فِي اللَّهِ عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

يظهر هذا جلياً في حالة العرب قبل أن يدينوا بهذه الكلمة وبعد ما دانوا بها فقد كانوا من قبل أعداء متناحرين يفتخرون بالقتل والنهب والسلب فلما دانوا بها أصبحوا إخوة متحابين كما قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿اذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٣- حصول السيادة والاستخلاف في الأرض وصفاء الدين والثبوت أمام تيارات الأفكار والمبادئ المختلفة - كما قال الله تعالى -: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

فربط سبحانه حصول هذه المطالب العالية بعبادته وحده لا شريك له الذي هو معنى ومقتضى لا إله إلا الله.

٤- حصول الطمأنينة النفسية والاستقرار الذهني لمن قال لا إله إلا الله وعمل بمقتضاها لأنه يعبد رباً واحداً يعرف مراده وما يرضيه فيفعله ويعرف ما يسخطه فيجتنبه بخلاف من يعبد آلهة متعدّدة كل واحد منها له مراد الآخر وله تدبير غير تدبير الآخر كما قال تعالى: ﴿أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩].

قال الإمام ابن القيم رحمته: هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد، فالمشرك بمنزلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاحون والرجل المتشاكس: السبيء الخلق.

فالمشرك لما كان يعبد آلهة شتى يعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله عبد لرجل واحد قد سلم له وعلم مقاصده وعرف

الطَّرِيقَ إِلَى رِضَاهُ فَهُوَ فِي رَاحَةٍ مِنْ تَشَاحِنِ الْخُلَطَاءِ فِيهِ، بَلْ هُوَ سَالِمٌ لِمَالِكِهِ مِنْ غَيْرِ تَنَازُعٍ فِيهِ مَعَ رَافَةِ مَالِكِهِ وَرَحْمَتِهِ لَهُ وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَيْهِ وَتَوَلِيَّتِهِ لِمَصَالِحِهِ، فَهَلْ يَسْتَوِي هَذَانِ الْعِبَادَانِ^(١).

٥- حُصُولُ السَّمُو وَالرَّفْعَةَ لِأَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

فدلت الآية على أن التَّوْحِيدَ علو وارتفاع وأن الشُّرْكَ هبوط وسفول وسُقُوط. قَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ رحمته: «شبه الإِيَّانَ والتَّوْحِيدَ فِي عُلُوهِ وَسَعْتِهِ وَشَرْفِهِ بِالسَّمَاءِ الَّتِي هِيَ مَصْعَدُهُ وَمَهْبَطُهُ، فَمِنْهَا هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ وَإِلَيْهَا يَصْعَدُ مِنْهَا، وَشَبَّهَ تَارِكَ الْإِيَّانَ وَالتَّوْحِيدَ بِالسَّاقِطِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى أَسْفَلِ سَافِلِينَ مِنْ حَيْثُ التَّضْيِيقِ الشَّدِيدِ وَالْآلَامِ الْمُتْرَاكِمَةِ وَالطَّيْرَ الَّتِي تَخْطَفُ أَعْضَاءَهُ وَتَمَزِقُهُ كُلَّ مَمْرُقٍ بِالشَّيَاطِينِ الَّتِي يَرْسَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى وَتُؤَزِرُهُ وَتَزْعِجُهُ وَتَقْلِقُهُ إِلَى مِظَانِ هَلَاكَةِ وَالرِّيحِ الَّتِي تَهْوِي بِهِ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ هُوَ هَوَاهُ الَّذِي يَحْمِلُهُ عَلَى الْإِقَاءِ نَفْسُهُ فِي أَسْفَلِ مَكَانٍ وَأَبْعَدَهُ عَنِ السَّمَاءِ»^(٢).

٦- عَصَمَةُ الدِّمِّ وَالْمَالِ وَالْعَرَضِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا»^(٣)، وَقَوْلُهُ ((بِحَقِّهَا)) مَعْنَاهُ أَنَّهُمْ إِذَا قَالُواهَا وَامْتَنَعُوا مِنَ الْقِيَامِ بِحَقِّهَا وَهُوَ آدَاءُ مَا تَقْتَضِيهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْإِبْتِعَادِ عَنِ الشُّرْكَ وَالْقِيَامِ بِأَرْكَانِ الْإِسْلَامِ أَنَّهُمْ لَا تَعْصَمُ أَمْوَالَهُمْ وَلَا دِمَاءَهُمْ بَلْ يَقْتُلُونَ وَتُؤَخِّدُ أَمْوَالَهُمْ غَنِيمَةً لِلْمُسْلِمِينَ كَمَا فَعَلَ بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ وَخَلْفَاؤُهُ.

هَذَا وَلِهَذَا الْكَلِمَةُ آثَارٌ عَظِيمَةٌ عَلَى الْفَرْدِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ وَالْأَدَابِ وَالْأَخْلَاقِ... وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ جَمِيعِينَ.

(١) أَعْلَامُ الْمَوْقِعِينَ (١/١٨٧).

(٢) أَعْلَامُ الْمَوْقِعِينَ (= ١٨٠).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (١٣/٢١٧). فِي الْإِعْتِصَامِ.

فهرس الموضوعات

- ١..... تقديم: لمعالى الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي
- ٣ مقدمة
- ٥ مكانة لا إله إلا الله فى الحياة
- ٧ فضل لا إله إلا الله
- ٩ إعرابها وأركانها وشروطها
- ٩ أ - إعرابها
- ٩ ب - ركنا لا إله إلا الله
- ١٠ ح - وأما شروط لا إله إلا الله
- ١١..... معنى الكلمة ومقتضاها
- ١٦ متى ينفع الإنسان قول لا إله إلا الله ومتى لا ينفعه ذلك
- ١٦..... ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية
- ١٧..... ما قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب^٥
- ١٨..... ما قاله الحافظ بن رجب
- ٢٠ آثار لا إله إلا الله
- ٢٣ فهرس الموضوعات